تناول كتب التراجم لسيرة كاتب الوحي عبدالله بن أبي سرح: دراسة تحليلية نقدية

عبدالرحمن عمر اسبينداري

مقدمة:

يعد الصحابي عبدالله بن سعد بن أبي سرح رضي الله عنه من الشخصيات الغامضة التي يكتنف الغموض أكثر جزئيات حياتها، إذ نجد خلافًا حول أكثر المسائل المتعلقة به، بدءًا من تاريخ ولادته، والذي لم تحدده المصادر، ومن ثم إسلامه في المرة الأولى، والذي اختلفت فيه المصادر، وردّته بعد ذلك، ووصولًا إلى مسألة وفاته، على الرغم من أنه كان عامل عمر بن الخطاب رضي الله عنهما على الصعيد، ومن ثم والي مصر في عهد عثمان رضي الله عنهما وهو فاتح إفريقيا. كل هذه المسائل وغيرها نجد فيها خلافًا واضحًا يصل في بعض الأحيان إلى درجة التناقض، وربما يرجع السبب في ذلك إلى مسألة ردته، مما دفع بالكثير من المؤرخين إلى إهماله إلى حد كبير دون التحقيق في مثل هذه المسائل المتعلقة به، وفي نفس الوقت وجد مفسرون عرفوا بالضعف والوضع في سيرته مادة دسمة لحشوها بقصص وأباطيل، مما شجع الكثيرين من أصحاب النوايا السيئة أن يحوموا حول حياة هذا الصحابي عسى ولعل أن يجدوا فيها ما يشفي غليلهم، وذلك بالطعن من خلاله في الإسلام، ولا سيما مصدره الأول القرآن الكريم، وحملته من الجيل الأول.

وقد قمنا في هذا البحث بدراسة عدد من الإشكاليات التي تصادف الباحث وهو يدرس سيرة هذا الصحابي، ومن الإشكاليات التي قمنا بدراستها، تحديد تاريخ ولادته، تحديد تاريخ إسلامه، تحديد تاريخ ردته وسببها، العفو عنه بشفاعة عثمان بن عفان، وتحديد تاريخ وفاته. ولم نتطرق إلى حياته بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بل بالأحرى بعد رجوعه إلى الإسلام، وقبول النبي توبته في فتح مكة.

علما أننا لم نتطرق في هذا البحث إلى أخطر إشكالية أثيرت عنه في كتب التراجم وغيرها ولا سيما في كتب التفسير وهي إشكالية تحريفه للقرآن الكريم بينما كان كاتبًا للوحي مما دفعه ذلك إلى الردة، إذ

تناولنا ذلك بشكل مفصل في بحثين مفصلين، الأول بعنوان: "دعوى تحريف عدد من كُتاب الوحي للقرآن الكريم في ضوء كتب الحديث: دراسة تحليلية نقدية"، والآخر: "دعوى تحريف عبدالله بن أبي سرح للقرآن الكريم في ضوء كتب التفسير: دراسة تحليلية نقدية".

وكما هو واضح فإننا قد قسمنا البحث إلى خمسة مباحث، مع مقدمة وخاتمة، لخصنا فيها أهم ما توصل إليه الباحث من نتائج.

المبحث الأول: إشكالية تحديد تاريخ ولادته:

تعد مسألة ولادة الصحابي عبدالله بن سعد بن أبي سرح رضي الله عنه إحدى المشاكل التي تواجه الباحث وهو يحاول تحديد مسائل أخرى لها علاقة جوهرية به ولا سيما مسألة إسلامه في المرة الأولى، ومن ثم ردته، والتي اختلفت بشأنها المصادر كما سيأتي ذكر ذلك فيما بعد.

فعند مراجعة المصادر التي ارخت لحياة الصحابة رضي الله عنهم لا يجد الباحث مصدراً يحدد تاريخ ولادته بشكل دقيق، وكل ما قيل في هذا المجال جاء بصيغة التمريض "قيل"، كما فعل البغوي (ت317هـ) في **معجم الصحابة** بأنه يقال: "إنه ولد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم"[1]، وأضاف في موضع آخر: "وبلغني أن عبدالله بن سعد بن أبي سرح ولد على عهد رسول صلى الله عليه وسلم"[2]. وتبعه ابن عساكر (ت571هـ) في **تاريخ دمشق** بنقل المقولة نفسها[3].

في حين لم يتم التطرق إلى تاريخ ولادته في أشهر الكتب التي تناولت حياة الصحابة، مثل: **تاريخ الصحابة** لابن حبان (ت354هـ)، و**معرفة الصحابة** لأبي نعيم الأصبهاني (ت430هـ)، و**الاستيعاب في معرفة الأصحاب** لابن عبد البر (ت463هـ)، و**أسد الغابة في معرفة الصحابة** لابن الأثير (ت630هـ)، و**سير أعلام النبلاء** للذهبي (ت748هـ)، و**الإصابة في تمييز الصحابة** لابن حجر العسقلاني (ت852هـ).

أما المراجع المعاصرة المتخصصة في كُتاب النبي صلى الله عليه وسلم، والتي تتحدث عن حياة عبدالله بن سعد بن أبي سرح فنجد أنها لا تتطرق إلى تاريخ ولادته لا من قريب أو بعيد، مثل: **موسوعة**

1- أبو القاسم عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز البغوي، **معجم الصحابة**، تحقيق: محمد الأمين بن محمد محمود أحمد الجكني، مكتبة دار البيان، الكويت، ط1، 1421هـ/ 2000م، ج ٤، ص ٢٣.

2- المصدر نفسه، ج ٤، ص ٢٤.

3- أبو القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله بن عبدالله ابن عساكر، **تاريخ دمشق**، تحقيق: محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمروي، دار الفكر، بيروت، 1425هـ/ 1995م، ج ٢٩، ص ٢٤.

حياة الصحابة من كتب التراث[4]، و**كُتاب النبي صلى الله عليه وسلم** للأعظمي[5]، وغيرها[6].

نرجع إلى مقولة البغوي لنقول: إنه يستبعد أن يكون قد ولد في هذا التاريخ، لأننا لو فرضنا جدلًا أنه ولد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن أول سنة للبعثة النبوية فمعناه أن النبي صلى الله عليه وسلم قد هاجر ولم يتجاوز عبدالله بن سعد بن أبي سرح ثلاث عشرة سنة. لذا نرى أن هذا القول غير دقيق، بدليل أن المصادر قد أجمعت على أن عبدالله بن سعد بن أبي سرح كان أخا عثمان بن عفان من الرضاعة[7]. وربما نفهم من الإشارة إلى هذه النقطة في بداية ترجمته إلى أن تلك المصادر أرادت أن تؤمئ إلى أنه ولد في الفترة نفسها التي ولد فيها عثمان رضي الله عنهما تقريبًا، وقد ورد في تلك الروايات ما يدل صراحة على أنه كان في عمر عثمان رضي الله عنهما، إذ نقل عن عثمان وهو يطلب من النبي صلى الله عليه وسلم العفو عن عبدالله في فتح مكة قوله: "**يا رسول الله! إن أمه كانت تحملني وتمشيه، وكانت**

4- محمد سعيد مبيض، **موسوعة حياة الصحابة من كتب التراث**، مكتبة دار الفتح، قطر، مؤسسة الريان، بيروت، ط1، 1421هـ/ 2000م، ج 4، ص 1871-1873.

5- محمد مصطفى الأعظمي، **كُتاب النبي صلى الله عليه وسلم**، المكتب الإسلامي، بيروت، ط 6، 1424هـ/ 2003م، ص 111.

6- ينظر مثلًا: أحمد بن عبدالرحمن عيسى، **كتاب الوحي**، دار اللواء، الرياض، ط1، 1400هـ/ 1980م، ص325.

7- ينظر على سبيل المثال لا الحصر: محمد بن سعد بن منيع ابن سعد، **الطبقات الكبرى**، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط1، 1968م، ج ٢، ص141، و ج ٧، ص 496، وأبو حاتم محمد البستي ابن حبان، **تاريخ الصحابة**، تحقيق: بوران الفناوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1408هـ/ 1988م، ص ١٥١، وأحمد بن عبدالله بن أحمد بن إسحاق بن مهران أبو نعيم الأصبهاني، **معرفة الصحابة**، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل ومسعر عبدالحميد السعدني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1422هـ/ 2002م، ج ٣، ص١٦٠، وأبو عمر يوسف بن عبد الله ابن عبدالبر، **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، ط1، 1412هـ/ 1992م، ج 3، ص 918، وابن عساكر، **تاريخ دمشق**، ج ٤، ص ٣٣٧، وج ٢٩، ص٣٥، وأبو الحسن علي بن محمد الجزري ابن الأثير، **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، تحقيق: الشيخ خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، ط 3، 1428هـ/ 2007م، ج ٢، ص ٦١١، ومحمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي ومأمون صاغرجي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 3، 1405هـ/ 1985م، ج ٣، ص ٣٣، وأحمد بن علي ابن حجر العسقلاني، **الإصابة في تمييز الصحابة**، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1415هـ، ج 4، ص94.

ترضعني وتفطمه، وكانت تلطفني وتتركه، فهبه لي"[8]. فنفهم من العبارة السابقة أنهما كانا بالعمر نفسه، أو أن أحدهما أكبر من الآخر بفارق عمري بسيط. والمعلوم أن عثمان قد ولد بعد عام الفيل، العام الذي ولد فيه النبي صلى الله عليه وسلم بست سنوات[9]، فقياسًا على ولادة عثمان يظهر أن عبدالله بن سعد بن أبي سرح كان قد تجاوز العقد الرابع من العمر عندما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة. وما نرجحه هنا أقرب للوقائع، ولا سيما ما سنذكره فيما بعد من أنه ممن أسلم قديمًا، وأنه من أوائل الذين كتبوا الوحي للنبي صلى الله عليه وسلم من قريش كما سيأتي فيما بعد.

المبحث الثاني: إشكالية تحديد تاريخ إسلامه:

لم يتطرق أوائل الذين أرخوا لحياة الصحابة إلى مسألة إسلام عبدالله بن سعد بن أبي سرح في المرة الأولى، مثل البغوي (ت317هـ) في **معجم الصحابة**، وكذا ابن حبان (ت354هـ)، في **تاريخ الصحابة**، وأبو نعيم الأصبهاني (ت430هـ) في **معرفة الصحابة**، وكذا لم يتطرق إلى ذلك ابن حجر العسقلاني (ت852هـ) في **الإصابة في تمييز الصحابة**.

ولكن لا تحدد المصادر التي تحدثت عن إسلامه تاريخ دخوله في الإسلام للمرة الأولى بشكل دقيق، بل نجد اختلافًا واضحًا بين تلك المصادر، بل يصل الخلاف إلى درجة التناقض، والعقبة الرئيسة التي تقف دون التحديد الدقيق لتاريخ إسلامه هي أن أغلب الروايات التي وردت في هذا المجال تعد غير صحيحة إذ تعاني من مشاكل في السند، ناهيك عن التضارب في المتن.

لذا نجد أن الذين أشاروا إلى تاريخ إسلامه، لم يحددوا تاريخًا دقيقًا لإسلامه، بل جاء كلامهم عامًا، وذلك بالقول بأنه أسلم قبل الفتح، ولم ترد أية قرائن في كلامهم تحدد المقصود من قولهم "قبل الفتح"، وهي فترة طويلة تغطي من هجرة النبي صلى الله عليه وسلم إلى فتح مكة في العام الثامن من

8- ينظر على سبيل المثال: محمد بن سعد بن منيع ابن سعد، **الجزء المتمم لطبقات ابن سعد**، تحقيق ودراسة: عبد العزيز عبد الله السلومي، مكتبة الصديق، الطائف، 1416هـ، ج 1، ص 448. ومحمد بن عمر بن واقد السهمي الواقدي، **المغازي**، تحقيق: مارسدن جونس، دار الأعلمي، بيروت، ط 3، 1409هـ/ 1989م، ج 2، ص856. وأبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد ابن الجوزي، **المنتظم في تاريخ الأمم والملوك**، تحقيق: محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1412هـ/ 1992م، ج 5، ص 145، وابن عساكر، **تاريخ دمشق**، ج ٢٩، ص ٣٥.

9- ينظر: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، **تاريخ الخلفاء**، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، مصر، ط 1، 1371هـ/ 1952م، ج 1، ص 134.

الهجرة، وقد تعني أيضًا من أول الإسلام إلى قبل الفتح وهي فترة أطول تمتد إلى أكثر من عشرين عامًا.

وتبين أعلاه بأنه ليس صحيحًا أن كتب التراجم تكاد تجمع على أنه أسلم قبل الفتح كما يقول السواعدة في بحثه: "فما يتعلق بأنه كان كاتبًا للوحي، فليس من غرض الدراسة ـ هنا ـ طرق هذا الجانب أو الغوص فيه، لكن مما تقضيه الموضوعية أن أبادر ببيان أن التراجم تكاد تجمع على أنه أسلم قبل الفتح، ثم ارتد، وأسلم قبيل الفتح مرة أخرى"[10].

فمن الذين قالوا بأن عبدالله بن أبي سرح أسلم قبل الفتح وهاجر، ابن عبدالبر (ت463هـ) في **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**، إذ يقول عنه: "أسلم قبل الفتح وهاجر..."[11].

وتبعه في ذلك ابن الأثير (630هـ) في **أسد الغابة في معرفة الصحابة** بقوله: "أسلم قبل الفتح وهاجر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم..."[12]. ولكنه تطرق قبل ذلك إلى مسألة إسلامه من خلال الإشارة إلى أنه أول من كتب من قريش للرسول صلى الله عليه وسلم، بقوله نقلًا عن الواقدي (ت207هـ): "قال: محمد بن سعد عن الواقدي: أول من كتب لرسول الله، مقدمه المدينة، أُبي بن كعب، وهو أول من كتب في آخر الكتاب، وكتب فلان بن فلان، فإذا لم يحضر أُبي، كتب زيد بن ثابت، وأول من كتب من قريش عبدالله بن سعد بن أبي سرح، ثم ارتد، ورجع إلى مكة..."[13].

ولا شك أنه لا يمكن حمل ذلك على ما بعد الهجرة، إذ كتب له قبل ذلك عدد من الكُتاب من قريش، ولا سيما بالنسبة لكل ما نزل في مكة، وهو ما يعادل ثلثي القرآن الكريم، وقد دلت الآثار على أن القرآن كله قد كتب في عهد النبي صلى الله عليه وسلم بقسميه المكي والمدني، والمدني كما هو معلوم لا خلاف فيه، في حين أن مسألة كتابة القرآن في العهد المكي لم تكن واضحة حتى عند عدد من الباحثين في

10- ينظر: محمد محمود فلاح السواعدة: "دعوى تحريف عبدالله بن أبي سرح للقرآن الكريم في كتب التفسير (دراسة نقدية)"، **حولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات**، الإسكندرية، 2012م، المجلد 2، العدد 22، الصفحات: 261-310. ولم أطلع إلا على ما نشره الباحث على منتديات السواعدة بتاريخ 11/ 9/ 2013م، وهو غير كامل. ينظر الجزء المنشور من بحثه على الرابط: http://sawadeh.alafdal.net/t13-topic

11- ابن عبدالبر، **الاستيعاب**، ج 3، ص 918.

12- ابن الأثير، **أسد الغابة**، ج 2، ص 610. كرر السواعدة ما قاله بعض أصحاب التراجم، بأنه: "أسلم قبل الفتح وهاجر".

13- ابن الأثير، **أسد الغابة**، ج 1، ص31. وتكملة كلامه: "...فنزل فيه: "ومن أظلم ممن افترى على الله كذبًا أو قال أوحي إلي ولم يوح إليه شيء".

علوم القرآن، وقد دلت على ذلك آثار كثيرة، منها: الآثار التي دلت على وجود صحائف مكتوبة في مكة[14]، ومنها: ما ورد من أن النبي صلى الله عليه وسلم قد سلم ما أنزل عليه خلال العشر سنوات الأولى إلى رافع بن مالك[15] في ليلة العقبة[16] وغيرها من الآثار التي دلت على كتابة القرآن في العهد المكي[17]. إذن فهناك غيره ممن كتب للنبي صلى الله عليه وسلم من قريش، لذا لابد من حمل هذا الكلام على الكتابة له صلى الله عليه سلم في مكة، وهو ما سيأتي فيما بعد.

14- ينظر تفاصيل الخبر في: محمد عبدالملك ابن هشام، **السيرة النبوية**، تحقيق: مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط 2، 1955م، ج 1، ص 365-367. وينظر: أحمد بن محمد ابن حنبل، **فضائل الصحابة**، تحقيق: وصي الله محمد عباس، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1403هـ/ 1983م، ج 1، ص 280. وأبو حاتم محمد البستي ابن حبان، **السيرة النبوية وأخبار الخلفاء**، تحقيق: عزيز بك، مؤسسة الكتب الثقافية، ط1، 1991م، ص 86-89. وأحمد بن الحسين البيهقي، **دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة**، تخريج: عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1985م، ص 215-221. وأبو الحسن علي بن محمد الجزري ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، دار صادر، بيروت، 1979م، ج 2، ص 84-86. وإسماعيل بن عمر ابن كثير، **البداية والنهاية**، تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، ط1، 1408هـ/ 1988م، ج 3، ص101 وما بعدها. ومحمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، **تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام**، تحقيق: محمد محمود حمدان، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط1، 1991م، ج 1، ص28-30. وجلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، **الخصائص الكبرى**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1985م، ج 1، ص 219-223.

15- رافع بن مالك بن العجلان بن عمرو بن عامر بن زريق الأنصاري الزرقي شهد العقبة، وكان أحد النقباء، قال سعد بن عبد الحميد بن جعفر: كان أول من أسلم من الخزرج. وكان من الكملة، والكامل هو الذي يحسن الكتابة والعوم والرمي، ينظر: ابن سعد، **الطبقات الكبرى**، ج 1، ص 217.

16- ينظر تفاصيل الخبر في ابن قدامة عبدالله المقدسي، **الاستبصار في نسب الصحابة من الأنصار**، تحقيق: علي نويهض، دار الفكر، ص 174. وابن حجر، **الإصابة في تمييز الصحابة**، ج 2، ص 370.

17- ويدل على عناية النبي صلى الله عليه وسلم بكتابة القرآن في العهد المكي، أنه لم يترك ذلك حتى في أخطر الظروف وأحلكها، وكذلك حمله صلى الله عليه وسلم لكامل أدوات الكتابة معه أثناء هجرته إلى المدينة على الرغم من المخاطر التي تمت فيها الهجرة، والدليل على ذلك كتاب الأمان لسراقة بن مالك المعروف، ولمراجعة تفاصيل الأدلة التي دلت على كتابة القرآن الكريم في العهد المكي ينظر كتابنا: عبدالرحمن عمر محمد اسبينداري، **كتابة القرآن الكريم في العهد المكي**، الرباط، إيسيسكو، ط1، 2002م، ولا سيما مبحث: الأدلة من الحديث والسيرة النبوية، ص90-101.

ومن الذين قالوا بأنه أسلم قبل فتح مكة الذهبي (ت748هـ) في **تجريد أسماء الصحابة**، بقوله: "أسلم قبل الفتح، وهاجر، وكتب الوحي، ثم ارتد، ثم أسلم..."[18]. بينما سكت الذهبي في **سير أعلام النبلاء** عن تاريخ إسلامه، فلم يتطرق إلى ذلك مطلقًا[19].

ومن الجدير بالذكر أن ابن سعد (ت230هـ) ذكر كلامًا قيمًا في **الطبقات الكبرى**، فقال عن ابن أبي سرح: "وكان قد أسلم قديمًا، وكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم الوحي، ثم افتتن، وخرج من المدينة إلى مكة مرتداً، فأهدر رسول الله صلى الله عليه وسلم دمه يوم الفتح..."[20].

وذكر ابن كثير (ت774هـ) العبارة نفسها مع ابن أبي سرح بقوله: "أحد كُتّاب الوحي أيضًا، أسلم قديمًا، وكتب الوحي ثم ارتد، ثم عاد إلى الإسلام عام الفتح"[21].

ولا يمكن أن يفهم من لفظ "قديمًا" بأي شكل من الأشكال أنه ممن أسلم قبل الفتح، أي: بعد الهجرة النبوية، لأنه يقصد بهذا اللفظ عادة أوائل الذين دخلوا في الإسلام، وفي وقت مبكر جدًا.

ومما يؤيد وجهة نظرنا هذه أن كتب التراجم والسيرة تستخدم عبارة: "أسلم قديمًا" للصحابة الذين دخلوا في الإسلام في وقت مبكر جدًا من بعثة النبي صلى الله عليه وسلم[22]، لذا نجد أن العلماء ذكروا هذه العبارة مع الذين أسلموا في بداية البعثة النبوية، وممن ذكرت هذه العبارة معهم على سبيل

18- محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، **تجريد أسماء الصحابة**، دار المعرفة، بيروت، ج 1، ص 314.

19- ينظر: الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج 3، ص 34.

20- ابن سعد، **الطبقات الكبرى**، ج 7، ص 496. وينظر: ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج 7، ص 344.

21- ينظر: ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج 7، ص 344.

22- وقد تستخدم عبارة "أسلم قديمًا" بالنسبة لصحابة من الأنصار باعتبارهم أسلموا قديمًا، أي: في وقت مبكر مقارنة مع غيرهم من أهل المدينة، مثل: عبدالله بن رواحة... أسلم قديمًا، وشهد العقبة، وكان أحد النقباء...". ينظر: إسماعيل بن عمر ابن كثير، **السيرة النبوية**، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة، بيروت، 1396هـ/ 1971م، ج 3، ص 486. وربما كان هذا هو السبب الذي دفع ابن حجر العسقلاني ـ كما سيأتي ذكر ذلك في نهاية فقرة تاريخ إسلامه ـ بأن يذكر عبدالله بن رواحة مع الذين كتبوا للنبي صلى الله عليه وسلم مباشرة بعد ذكر المكيين من كتاب النبي صلى الله عليه وسلم، ومن الذين أسلموا قديمًا. ينظر: أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني، **فتح الباري بشرح صحيح الإمام البخاري**، دار نشر الكتب الإسلامية، لاهور، ج 9، ص 29. أو أسيد بن الحضير، فقال الذهبي: "أحد النقباء الاثني عشر ليلة العقبة، أسلم قديمًا"، ينظر: الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج 1، ص 341.

التمثيل لا الحصر[23]: الخلفاء الأربعة، وعبدالرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وعثمان بن مظعون، والزبير بن العوام، وخالد وأبان ابنا سعيد بن العاص، وسعيد بن زيد، ومعيقب بن أبي فاطمة، وعبدالله ابن الأرقم الزهري، وبلال بن رباح، وعبدالله بن مسعود، وجعفر بن أبي طالب بن عبدالمطلب، ومصعب ابن عمير، وهؤلاء كلهم من الذين أسلموا خلال السنوات الأولى من دعوة النبي صلى الله عليه وسلم في مكة.

ونقل النبهاني عن الإمام الزرقاني في **شرحه على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية**، قوله: "وقال ابن سعد: إنهم خمس طبقات: الأولى: البدريون. الثانية: من أسلم قديمًا ممن هاجر عامتهم إلى الحبشة، وشهدوا أحدًا فما بعدها. الثالثة: من شهد الخندق فما بعدها. الرابعة: مسلمة الفتح فما بعدها. الخامسة: الصبيان والأطفال ممن لم يغز"[24].

ومن خلال ما سبق فإنني أرى أن ابن أبي سرح قد أسلم في وقت مبكر جدًا، وهذا القول أقرب من الأقوال الأخرى التي تفيد أنه أسلم قبل الفتح بدون تحديد، ولذا نجد أن كبار العلماء ذكروا ابن أبي سرح من ضمن الذين كتبوا الوحي للرسول صلى الله عليه وسلم في وقت مبكر جدًا في العهد المكي، انطلاقًا من كونه قد أسلم قديمًا، مع أنهم لم يذكروا عبارة: "أسلم قديمًا"، وهذا ما نجده في أمهات الكتب. فقد ذكر ابن عساكر (ت571هـ) من ضمن ما ذكره عن ابن أبي سرح رواية تؤكد كتابته للقرآن الكريم في وقت مبكر جدًا، فقال: "أخبرنا أبو البركات الأنماطي أنا ثابت بن بندار أنا محمد بن علي أنا محمد بن أحمد

23- ينظر: أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد ابن الجوزي، **صفة الصفوة**، تحقيق: محمود فاخوري ومحمد رواس قلعه جي، دار المعرفة، بيروت، ط 2، 1399هـ/ 1979م، ج 1، ص294، 356، 362، 364، 419، 434، 442، 681، 694، وج 2، ص 442، وابن كثير، **السيرة النبوية**، ج 1، ص 453. وابن حجر، **الإصابة في تمييز الصحابة**، ج 4، ص 377. وأحمد بن علي ابن حجر العسقلاني، **تهذيب التهذيب**، مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، ط1، 1326هـ، ج 1، ص 502، وج 2، ص 98، ج 7، ص 139، وج 10، ص 254. والمزي، يوسف بن الزكي عبدالرحمن: **تهذيب الكمال في أسماء الرجال**، تحقيق: بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1400هـ/ 1980م، ج 5، ص 50. وابن عبدالبر، **الاستيعاب**، ج 2، ص420، و423، 615، 728، وج 3، ص 874، 888، 987، وج 4، ص 1478، 1763. وابن سعد، **الطبقات الكبرى**، ج 4، ص 125، 298، 348، و ج 7، ص 405، 496.

24- يوسف بن إسماعيل بن يوسف النبهاني، **الأساليب البديعة في فضل الصحابة وإقناع الشيعة**، المطبعة الميمنية، مصر، ج 1، ص 12. عند مراجعتي لشرح الزرقاني لم أجد ذلك، وكذلك الأمر بالنسبة لطبقات ابن سعد، فلا أدري من أي كتاب نقله عن ابن سعد.

أنا الأحوص بن المفضل أنا أبي قال: يقولون أول من كتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن سعد بن أبي سرح العامري ثم ارتد، فكتب له عثمان بن عفان وأبان ابنا[25] سعيد بن العاص، وكتب له العلاء بن الحضرمي، وشرحبيل بن حسنة"[26].

فلا شك أنه يقصد بهذا القول أنه أسلم بمكة قبل الهجرة، والأسماء المذكورة في هذه الرواية كلها من الذين أسلموا قديمًا في مكة.

ومما يؤيد ما نقوله هنا، ما أخرجه الطبراني بسند حسن[27] وأبو داود في كتاب المصاحف بسند صحيح عن أبي سعيد وهو يتحدث عمن كتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله: "قال: لما دخل المصريون على عثمان رضي الله عنه ضربوه بالسيف على يده، فوقعت على: ژگ گگ گگ گگ ڳڳ[28]، فمد يده، وقال: "والله إنها لأول يد خطت المفصل"[29].

25- يبدو أن هناك حذفا في الكلام المنقول، إذ الأصل كما ورد في كتب أخرى هو: "وخالد وأبان ابنا سعيد بن العاصي...".

26- ابن عساكر، **تاريخ دمشق**، ج 29، ص 27-28.

27- قال الهيثمي في **مجمع الزوائد** بعد أن ذكر الرواية عن أبي سلمة بن عبدالرحمن: "رواه الطبراني، وإسناده حسن". ينظر: أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي، **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، تحقيق: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، 1414هـ/ 1994م، ج 9، ص 94. وينظر: أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني، **المعجم الكبير**، تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، ط 2، 1404هـ/ 1983م، ج 1، ص 84.

28- سورة البقرة، الآية: 137.

29- أبو بكر عبدالله بن سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني، **كتاب المصاحف**، تحقيق: محمد بن عبده، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، القاهرة، ط1، 1423هـ2002م، ص 33. وينظر: ابن حنبل، **فضائل الصحابة**، ج 1، ص470، 473. وزيد بن عبيدة بن ريطة ابن شبة النميري، **تاريخ المدينة المنورة**، تحقيق: فهيم محمد شلتوت، جدة، 1399هـ، ج 4، ص 1309. وأبو بكر أحمد بن عمرو بن الضحاك بن مخلد ابن أبي عاصم الشيباني، **الآحاد والمثاني**، تحقيق: باسم فيصل أحمد الجوابرة، دار الراية، الرياض، ط1، 1411هـ/ 1991م، ج 1، ص 87. وابن أبي عاصم الشيباني، **الأوائل لابن أبي عاصم**، تحقيق: محمد بن ناصر العجمي، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي، الكويت، ج 1، ص 94. وعلاء الدين علي بن حسام الدين المتقي البرهان الهندي، **كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال**، تحقيق: بكري حياني وصفوة السقا، مؤسسة الرسالة، ط5، 1401هـ/ 1981م، ج 13، ص 81.

والمعروف أن أغلب سور المفصل[30] قد نزلت في مكة، ولا سيما في السنوات الأولى من البعثة النبوية كما ورد في **صحيح البخاري** عن عائشة رضي الله عنها[31]، لذا يفهم من الرواية السابقة أن عثمان ابن عفان كتب المفصل في بداية الدعوة بعد أن كان يكتب له عبدالله بن سعد بن أبي سرح.

وذكر ابن سيد الناس (ت734هـ) في **عيون الأثر المسألة** نفسها، من أنه أول من كتب للرسول صلى الله عليه وسلم من قريش، فقال: "وهو أول من كتب له من قريش، ثم ارتد"[32].

وقد تطرق إلى هذه المسألة ابن حجر العسقلاني (ت852هـ) في **فتح الباري**، فقال: "قد كتب له قبل زيد بن ثابت أبي بن كعب، وهو أول من كتب له بالمدينة، وأول من كتب له بمكة من قريش عبد الله ابن سعد بن أبي سرح، ثم ارتد، ثم عاد إلى الإسلام يوم الفتح، وممن كتب له في الجملة الخلفاء الأربعة، والزبير بن العوام، وخالد وأبان ابنا سعيد بن العاص بن أمية، وحنظلة بن الربيع الأسدي، ومعيقيب بن أبي فاطمة، وعبد الله بن الأرقم الزهري، وشرحبيل بن حسنة، وعبد الله بن رواحة..."[33]. وهؤلاء الكُتاب كلهم من الذين أسلموا قديمًا[34].

30- قال السيوطي: "والمفصل: ما ولي المثاني من قصار السور، سمي بذلك لكثرة الفصول التي بين السور بالبسملة، وقيل: لقلة المنسوخ منه، ولهذا يسمى بالمحكم أيضًا". ينظر: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، **الإتقان في علوم القرآن**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1394هـ/ 1974م، ج 1، ص 221. وبدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، **البرهان في علوم القرآن**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، ط1، 1376هـ/ 1957م، ج 1، ص 245.

31- روى البخاري في حديث طويل قول عائشة رضي الله عنها: "...إنما نزل أول ما نزل منه سورة من المفصل، فيها ذكر الجنة والنار، حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام...". ينظر: محمد بن إسماعيل البخاري، **صحيح البخاري**، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط1، 1422هـ، ج 6، ص 185، باب: تأليف القرآن، رقم الحديث: 4993.

32- محمد بن محمد بن أحمد ابن سيد الناس اليعمري، **عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير**، تعليق: إبراهيم محمد رمضان، دار القلم، بيروت، ط1، 1414هـ/ 1993م، ج 2، ص 383.

33- ابن حجر، **فتح الباري**، ج 9، ص 22. وينظر: أبو العباس أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك القسطلاني، **إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري**، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، ط 7، 1323هـ، ج 7، ص 450. ومحمد بن علي بن أحمد بن عبد الرحمن بن حسن الأنصاري، **المصباح المضي في كتاب النبي الأمي ورسله إلى ملوك الأرض من عربي وعجمي**، تحقيق: محمد عظيم الدين، عالم الكتب، بيروت، ج 1، ص 151.

34- ما عدا عبدالله بن رواحة، ويبدو أنه ذكره هنا لكونه يعد ممن أسلم قديما مقارنة بغيره من أهل المدينة.

فهذه الأقوال كلها تشير إلى أنه أسلم قديمًا قبل هجرة النبي صلى الله عليه وسلم. لذا فإننا نرجح كون ابن أبي سرح قد أسلم قديمًا في مكة، وكتب الوحي للنبي صلى الله عليه وسلم في مكة.

إذن التحقيق التاريخي والعلمي يؤكد كتابته للوحي، وأنه أسلم قديمًا بخلاف ما ادعاه السواعدة في بحثه بقوله: "أن مدة إسلامه قصيرة جدًا. إذن فمتى أسلم، ومتى كتب الوحي قبل ردته؟ فالتحقيق التاريخي والعملي يؤكدان عدم كتابة عبدالله للوحي. بالإضافة إلى أنه ليس جميع كتاب الرسول صلى الله عليه وسلم هم بالضرورة كتابًا للوحي، فهناك كتاب للرسائل وغيرها مما تحتاجه الدولة من الكتابة في الشؤون المختلفة"[35].

ومسألة كتابته للقرآن من الأمور التي نقلت في كل المصادر سواء كتب الحديث أو التراجم أو السيرة. وقد ذكر السواعدة بنفسه أن أصل القصة قد ورد في بعض كتب السنن بإسناد صحيح، وذكر رواية عن سعد بن أبي وقاص، ثم أردفها مباشرة بما نقل عن ابن عباس بأن ابن أبي سرح كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

المبحث الثالث: إشكالية تحديد تاريخ ردته وسببها:

من الأمور التي لا خلاف فيها أن عبدالله ابن أبي سرح قد ارتد في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، وأنه رجع إلى الإسلام تائبًا في فتح مكة، إلا أن المحير هو أن المصادر التي تناولت ذلك لا تشير إلى زمن ردته تلك بشكل دقيق أو حتى شبه دقيق. لذا فمن الصعوبة بمكان تحديد زمنها بشكل قطعي، لأن هذه المسألة متعلقة بمسألة إسلامه سالفة الذكر، والتي اختلفت فيها المصادر.

وقد سبقت الإشارة إلى أن عددًا من المصادر سكتت عن ذكر تاريخ إسلامه[36]، وبذلك لا نستطيع عن طريق تلك المصادر أن نحدد زمن ردته. في حين أشارت مصادر أخرى إلى أنه ارتد قبل الفتح[37] دون تحديد، وأنه رجع مسلماً يوم فتح مكة بعد أن شفع له عثمان رضي الله عنهما عند النبي صلى الله عليه وسلم.

بينما تشير مصادر أخرى إلى أنه ربما ارتد في بداية البعثة النبوية في مكة، بدليل أنه وشى بعمار بن

35- ينظر: السواعدة: "دعوى تحريف عبدالله بن أبي سرح للقرآن الكريم في كتب التفسير: دراسة نقدية"، ينظر الجزء المنشور من بحثه على الرابط: http://sawadeh.alafdal.net/t13-topic

36- مثل: البغوي، **معجم الصحابة**، وابن حبان، **تاريخ الصحابة**، وأبي نعيم الأصبهاني، **معرفة الصحابة**.

37- مثل: ابن الأثير، **أسد الغابة**، وابن عبدالبر، **الاستيعاب**، والذهبي، **سير أعلام النبلاء**.

ياسر وجبير بعد ردته، وهذه القصة تعود إلى بداية البعثة النبوية، ولكن المشكلة هنا أن الرواية التي دلّت على ذلك ضعيفة.

وقد ذكر الذين أشاروا إلى أنه أسلم في مكة ضمن كلامهم ما يدل على أنه ارتد في المدينة إذ قالوا بأنه لحق بمكة، وهو ما يدل على أنه ارتد بعد هجرته إلى المدينة... مع أن بعضهم قد قال: لحق بالمشركين، وهذا يحتمل أن يكون قد ارتد في مكة.

فضلًا عن ذلك فإن الواقدي (ت207هـ) قد ذكر من ضمن ما ذكره عن مسألة ردته عدة أقوال متناقضة، سواء فيما يتعلق بزمن ردته، أو في السبب الذي دعاه إلى ذلك، وهذه الأقوال هي:

القول الأول: إنه ارتد وهو بمكة أثناء محاولته الهجرة إلى المدينة، وبعد أن تعرض المهاجرون إلى التعذيب والأذى، فقد نقل الواقدي في خبر طويل مفاده أن عددًا من المهاجرين، وأثناء محاولتهم الهجرة إلى المدينة سرًا، طاردتهم قريش، وأرجعت عددًا منهم إلى مكة، مما: "اشتد البلاء على من ردوا من المسلمين، فضربوهم وآذوهم، وأكرهوهم على ترك الإسلام. ورجع ابن أبي سرح، فقال لقريش: ما كان يعلمه إلا ابن قمطة، عبد نصراني، قد كنت أكتب له، فأحول ما أردت..."(38).

القول الثاني: إنه ارتد وهو بالمدينة، ثم رجع إلى مكة بعد أن كان كاتبا للنبي صلى الله عليه وسلم، قال الواقدي: "... قالوا: وكان عبد الله بن سعد بن أبي سرح يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم الوحي، فربما أملى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم سميع عليم فيكتب عليم حكيم، فيقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول: كذلك الله، ويقره. وافتتن وقال: ما يدري محمد ما يقول! إني لأكتب له ما شئت، هذا الذي كتبت يوحى إلي كما يوحى إلى محمد. وخرج هاربا من المدينة إلى مكة مرتدا، فأهدر رسول الله صلى الله عليه وسلم دمه يوم الفتح..."(39).

القول الثالث: إنه ارتد وهو بالمدينة، ورجع إلى مكة، أو ربما يفهم منه أنه لما أرجع إلى مكة، وهو يحاول الهجرة مع غيره، ثم وشى بجبر، قال الواقدي: "وحدثني شيخ من خزاعة، عن جابر بن عبد الله، قال: كان لبني عبد الدار غلام يقال له جبر، وكان يهوديا، فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الهجرة يقرأ سورة يوسف، فعرف الذي ذكر في ذلك، فاطمأن إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأسلم، فلما ارتد عبد الله بن سعد بن أبي سرح عن إسلامه رجع إلى مكة فأخبر أهله بإسلامه، وكان العبد يكتم

38- الواقدي، **المغازي**، ج 1، ص 73-74.

39- المرجع السابق، ج 2، ص 855.

إسلامه من أهله قبل أن يدخل بيته، فعذبوه أشد العذاب حتى قال لهم الذي يريدون، فلما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فشكا إليه، وأخبره ما لقي في سبب عبد الله بن سعد. قال: فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمنه فاشترى نفسه فعتق، واستغنى ونكح امرأة لها شرف"[40].

وهذه الأقوال كلها لا دليل عليها، في حين أن الروايات والأخبار التي دلت على تحريفه للقرآن الكريم كلها ضعيفة، ولم يأت في كتب الحديث أية رواية صحيحة أو حتى ضعيفة تثبت ذلك، وكل ما ورد في كتب الحديث أنه ارتد ثم لحق بالمشركين، والأخبار التي دلت على تحريفه أوردها الإخباريون والمفسرون، وكلها تعاني من خلل في السند، ولم يصح منها شيء، وهنا ليس محل مناقشتها[41].

ثم الواقدي معروف بالضعف والكذب، قال الذهبي في **ميزان الاعتدال**: "محمد بن عمر بن واقد الأسلمي، مولاهم الواقدي المدني القاضي، صاحب التصانيف، وأحد أوعية العلم على ضعفه.

قال أحمد بن حنبل: هو كذاب، يقلب الأحاديث، يلقى حديث ابن أخي الزهري على معمر ونحو ذا. وقال ابن معين: ليس بثقة. وقال مرة: لا يكتب حديثه.

وقال البخاري وأبو حاتم: متروك. وقال أبو حاتم أيضًا والنسائي: يضع الحديث. وقال الدارقطني: فيه ضعف. وقال ابن عدي: أحاديثه غير محفوظة والبلاء منه.

علي بن المديني يقول: الواقدي يضع الحديث... قال مجاهد بن موسى: ما كتبت عن أحد أحفظ من الواقدي. قلت: صدق، كان إلى حفظه المنتهى في الأخبار والسير، والمغازى والحوادث وأيام الناس، والفقه، وغير ذلك"[42].

ومن الخبر المذكور ربما تشكل الأثر الذي دل على ردته في بداية البعثة النبوية وهو ضعيف ـ كما سنبين ذلك فيما بعد ـ، وذلك بالإشارة إلى أحداث ووقائع تعود إلى بداية البعثة مثل الوشاية بعمار بن

40- الواقدي، **المغازي**، ج 2، ص 865-866.

41- وقد ناقشت هذه المسائل بالتفصيل في بحث: "دعوى تحريف عبدالله بن أبي سرح للقرآن الكريم في ضوء كتب الحديث"، وبحث: "دعوى تحريف عبدالله بن أبي سرح للقرآن في ضوء كتب التفسير".

42- محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، **ميزان الاعتدال في نقد الرجال**، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، ط 1، 1382هـ/ 1963م، ج 3، ص 662-663. وأبو حاتم محمد البستي ابن حبان، **المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين**، تحقيق: محمود إبراهيم زايد، دار الوعي، حلب، ط1، 1396هـ، ج2، ص 254-255 و ج 2، ص 290.

ياسر، وهذا الخبر أخرجه الطبري (ت310هـ) في **تفسيره**، إذ تم فيه الدمج بين عمار بن ياسر وابن جبير وليس جبر، وملخصه: "أنه لحق بالمشركين، ووشى بعمار وجبير عند ابن الحضرمي، أو لبني عبد الدار. فأخذوهم فعذبوا حتى كفروا، وجدعت أذن عمار يومئذ. فانطلق عمار إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره بما لقي، والذي أعطاهم من الكفر، فأبى النبي صلى الله عليه وسلم أن يتولاه"[43].

وعلى العكس من الأثر السابق، فإن عددًا من المفسرين ذكروا روايات موضوعة منسوبة إلى محمد السائب الكلبي (ت204هـ) وهو معروف بالكذاب كما سيأتي، تقول أنه كان ضمن المنافقين الذين هموا بقتل النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك[44]. وقد نقل ذلك أيضًا عن مقاتل بن سليمان[45]. في حين ذكره مقاتل بن سليمان وهو معروف بالكذب والوضع كما سيأتي بعد قليل ضمن المنافقين الذين مارسوا الحرب النفسية ضد المسلمين بعد معركة مؤتة[46]. أي أن ردته وعلى عكس الخبر السابق قد تأخرت إلى قبيل فتح مكة.

وكيف يصح هذا الخبر ومعركة مؤتة كانت في جمادى الأولى في العام الثامن من الهجرة، ومعلوم أن فتح مكة كان في العام نفسه، أي: بعد أقل من نصف، فهل ارتد ابن أبي سرح في هذه الفترة، ورجع إلى مكة؟!

وكما سبق فإن الكلبي معروف بكذبه ووضعه: قال الذهبي في **ميزان الاعتدال**: "قال ابن عدي: وقد حدث عن الكلبي سفيان وشعبة وجماعة، ورضوه في التفسير، وأما في الحديث فعنده مناكير، وخاصة إذا روى عن أبي صالح، عن ابن عباس... وقال أحمد بن زهير: قلت لأحمد بن حنبل: يحل النظر في تفسير الكلبي؟ قال: لا. وعن ابن معين قال: الكلبي ليس بثقة. وقال الجوزجاني وغيره: كذاب. وقال الدارقطني وجماعة: متروك. وقال ابن حبان: مذهبه في الدين ووضوح الكذب فيه أظهر من أن يحتاج إلى الإغراق في

43- أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط1، 1420هـ/ 2000م، ج 11، ص 534.

44- أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، **الكشف والبيان عن تفسير القرآن**، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1422هـ/ 2002م، ج5، ص 70.

45- أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي، **تفسير مقاتل بن سليمان**، تحقيق: عبد الله محمود شحاته، دار إحياء التراث، بيروت، ط1، 1423هـ، ج 2، ص 183.

46- المرجع السابق، ج 4، ص 261.

وصفه. يروي عن أبي صالح، عن ابن عباس التفسير، وأبو صالح لم ير ابن عباس، ولا سمع الكلبي من أبي صالح إلا الحرف بعد الحرف، فلما احتيج إليه أخرجت له الأرض أفلاذ كبدها. لا يحل ذكره في الكتب، فكيف الاحتجاج به!"[47].

وأضاف في موقع آخر: "قال أحمد بن حنبل: إنما كان صاحب سمر ونسب، ما ظننت أن أحدًا يحدث عنه. وقال الدارقطني وغيره: متروك. وقال ابن عساكر: رافضي، ليس بثقة..."[48]. أما مقاتل بن سليمان فقد أجمع العلماء على تضعيفه، قال ابن حجر: "أجمعوا على تضعيفه"[49]. وقال الذهبي: "هالك، كذبه وكيع والنسائي"[50]. وهو: "متروك الحديث"[51]. وقال ابن المبارك: "ما أحسن تفسيره لو كان ثقةً! قال البخاري: مقاتل لا شيء البتة. قلت (الذهبي): أجمعوا على تركه"[52]. "وقال البخاري: سكتوا عنه. وروى عباس، عن يحيى، قال: ليس حديثه بشيء"[53].

"... وقال زكريا الساجي: كذاب متروك الحديث، وقال الرازي: متروك الحديث، وقال النسائي: "الكذابون المعروفون بوضع الحديث على رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعة: ابن أبي يحيى

47- الذهبي، **ميزان الاعتدال في نقد الرجال**،، ج 3، ص 558-559.

48- الذهبي، **ميزان الاعتدال**، ج 4، ص 304-305. وابن حبان، **المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين**، ج2، ص 254-255.

49- ابن حجر العسقلاني، **لسان الميزان**، تحقيق: دائرة المعارف النظامية، الهند، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط2، 1390هـ/ 1971م، ج 7، ص 397.

50- محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، **المغني في الضعفاء**، تحقيق: نور الدين عتر، ج2، ص675. والذهبي، **ديوان الضعفاء والمتروكين وخلق من المجهولين وثقات فيهم لين**، تحقيق: حماد بن محمد الأنصاري، مكتبة النهضة الحديثة، مكة، ط2، 1387هـ/ 1967م، ج1، ص396. والذهبي، **ميزان الاعتدال في نقد الرجال**، ج4، ص175.

51- أبو الحسن أحمد بن عبد الله بن صالح العجلي، **معرفة الثقات من رجال أهل العلم والحديث ومن الضعفاء وذكر مذاهبهم وأخبارهم**، تحقيق: عبد العليم عبد العظيم البستوي، مكتبة الدار، المدينة المنورة، ط1، 1405هـ/ 1985م، ج 2، ص 295. وعبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر ابن أبي حاتم، **الجرح والتعديل**، طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1271هـ/ 1952م. ج 8، ص 354-355.

52- الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط3، 1405هـ/ 1985م، ج 7، ص 201-202.

53- الذهبي، **ميزان الاعتدال في نقد الرجال**، ج 4، ص 173.

بالمدينة، والواقدي ببغداد، ومقاتل بن سليمان بخراسان، ومحمد بن شعبة الكصلوب بالشام"[54].

والأغرب من ذلك أن بعضهم قد أشار إلى أن والده سعد بن أبي سرح كان من كبار المنافقين، مع أن والده من قريش، وقد نقل ذلك ابن حبان (ت354هـ) في **تاريخ الصحابة**[55]، وقد علق ابن حجر (ت852هـ) على قول ابن حبان بقوله: "قال ابن حبان: كان والده من المنافقين الكفار، هكذا قال، ولم أره لغيره"[56]. والمعلوم أن والده من قريش، وأهل مكة لم يكونوا بحاجة إلى النفاق، لأنه كان بإمكانهم الرجوع إلى مكة حيث يسيطر المشركون على مقاليد الأمور، علمًا أن هذه المصادر لا تشير إلى تفاصيل ذلك، ومتى أسلم أو هاجر، وماذا كان موقفه من ردة ابنه عبدالله... وأعتقد أنه خلط بينه وبين عبدالله بن عبدالله بن أبي بن سلول، إذ كان كاتبا[57] للنبي صلى الله عليه وسلم، والمعروف أن والده كان من

54- أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد ابن الجوزي، **الضعفاء والمتروكون**، تحقيق: عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1406هـ، ج 3، ص 136-137. وإبراهيم بن محمد بن خليل الطرابلسي سبط ابن العجمي، **الكشف الحثيث عمن رمي بوضع الحديث**، تحقيق: صبحي السامرائي، عالم الكتب ومكتبة النهضة العربية، بيروت، ط 1، 1407هـ/ 1987م، ج 1، ص 260.

55- ينظر: ابن حبان، **تاريخ الصحابة**، ص 151.

56- ينظر: ابن حجر، **الإصابة**، ص 1057. في حين أن آخرين قد ذكروا والده سعد بن أبي سرح ضمن كتاب النبي صلى الله عليه وسلم، كما ينقل ابن كثير ذلك عن خليفة بن خياط، بقوله: "ومنهم سعد بن أبي سرح، فيما قاله خليفة بن خياط وقد وهم، إنما هو ابنه عبد الله بن سعد بن أبي سرح". ينظر: ابن كثير، **السيرة النبوية**، ج4، ص685، وابن كثير، **البداية والنهاية**، ج 5، ص370. وقد تابعه ابن حجر في بيان وهم خليفة بقوله: "وهو وهم كما نبه عليه ابن كثير في **السيرة النبوية من تاريخه**، وإنما هو ابنه عبدالله"، ينظر: ابن حجر، **الإصابة في تمييز الصحابة**، دار الكتب العلمية، ج 3، ص230، والصحيح أن خليفة بن خياط لم يذكر ذلك وإنما ذكر عبدالله، وليس والده، ينظر: خليفة بن خياط بن خليفة الشيباني، **تاريخ خليفة بن خياط**، تحقيق: أكرم ضياء العمري، دار القلم، دمشق، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1397هـ، ج 1، ص 99. وابن كثير نقل ذلك عنه بشكل غير دقيق، وتابعه في ذلك ابن حجر. وهو ما فعله ابن عساكر، ينظر: **تاريخ دمشق**، ج 4، ص 333. ومن باب الأمانة فقد أشار إلى هذه النقطة محقق كتاب **تاريخ دمشق** مجد الدين أبو سعيد بن عمر بن غرامة العمروي، ينظر: ابن عساكر، **تاريخ دمشق**، ج 4، ص 333، الهامش رقم 8، وقد قمت بالتحقيق من ذلك، ووثقت أرقام الصفحات في كل الكتب التي أشار إليها المحقق، والأمر كما قال.

57- ينظر خبر كتابته للنبي صلى الله عليه وسلم على سبيل المثال لا الحصر في: ابن عبدالبر، **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**، ج 1، ص 69، والأنصاري، **المصباح المضي في كتاب النبي الأمي ورسله إلى ملوك الأرض من عربي وعجمي**، ج 1، ص 140. وابن حجر، **الإصابة في تمييز الصحابة**، دار الكتب العلمية، ج 4، ص 134.

المنافقين الكبار، أو رأس النفاق، وليس والد عبدالله بن سعد بن أبي سرح. لذا أرى أن كل هذه الاتهامات والشكوك التي بثت في الأخبار عن الصحابي عبدالله بن سعد بن أبي سرح كانت من تداعيات أمرين، وهما: ردته، والثاني: قرابته لعثمان، ومن ثم ولايته لمصر، وما نتج عن ذلك من مشاكل سياسية.

والشيء المتفق عليه هو أن الصحابي عبدالله بن سعد بن أبي سرح رجع إلى الإسلام في يوم فتح مكة[58] بعد أن أهدر النبي صلى الله عليه وسلم دمه، ثم عفا عنه بعد شفاعة عثمان بن عفان رضي الله عنهما.

لذا لا يمكن الحسم في أمر تاريخ ردته، هل ارتد في مكة قبل هجرة النبي صلى الله عليه وسلم؟ أم أنه ارتد في المدينة، ثم رجع إلى المشركين؟ علمًا أن المصادر قد تستخدم كلمة "رجع" ليس بمعنى الرجوع من المدينة إلى مكة، وإنما بمعنى الرجوع إلى المشركين كما سبق أن استخدم الواقدي ذلك في القول الأول، وهو يتحدث عن ردته وهو في مكة، وإن كنت أميل إلى أنه ارتد في وقت مبكر جدًا في العهد المكي.

المبحث الرابع: إشكالية العفو عنه بشفاعة عثمان بن عفان:

يثير البعض في مواقع على شبكة الإنترنيت شبهة مفادها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقبل وساطة بعض أصحابه، ويسقط الحدود الشرعية من أجل إرضائهم، كما فعل عليه الصلاة والسلام مع مسألة العفو عن عبدالله بن سعد بن أبي سرح يوم فتح مكة، بعد أن شفع له أخوه من الرضاعة عثمان بن عفان رضي الله عنهما.

ولكن الأمر الجلي هو أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يطبق عليه الحد لأنه تاب، والمرتد إن تاب فإن العقوبة تسقط عنه، وهذا من الأمور المتفق عليها عند جمهور العلماء القائلين بوجوب حد الردة[59]. ناهيك عن القائلين بأنه لا حد في الردة، إذ يستشهد هؤلاء بهذه الواقعة لإثبات أن الردة لا حد لها. فعند

58- في حين قال البغوي في تفسيره: "... ثم رجع عبد الله إلى الإسلام قبل فتح مكة إذ نزل النبي صلى الله عليه وسلم بمر الظهران". ينظر: أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي، **معالم التنزيل في تفسير القرآن**، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1420هـ، ج 2، ص 145.

59- ينظر على سبيل المثال: وهبة الزحيلي بن مصطفى، **الفقه الإسلامي وأدلته** (الشامل للأدلة الشرعية والآراء المذهبية وأهم النظريات الفقهية وتحقيق الأحاديث النبوية وتخريجها)، دار الفكر، دمشق، ط4 المنقحة من ط12، ج 7، ص5582. "ومذهب المالكية، والمعتمد عند الشافعية، والمذهب عند الحنابلة. أن المرتد لا يقتل حتى يستتاب وجوبا". ينظر: **الموسوعة الفقهية الكويتية**، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، الكويت، ط1، 1404هـ، 1427هـ، ج 5، ص 235.

الفريق الأول لم يطبق عليه الحد لأنه تاب، والتائب عن الردة لا حد عليه، وعند الفريق الثاني لا توجد عقوبة أصلًا، ويعد هذا دليلًا لهم على محل الخلاف، يقول العلواني: "... والخبر مع ذلك يدل على أن لا حد في الردة، وإلا لما قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه شفاعة عثمان، ولقال له مثل ما قال لأسامة في الشفاعة للسارقة المخزومية: "أتشفع في حد من حدود الله"[60].

لذا نقول: لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم ليتهاون في تطبيق الحد عليه لو ثبت عليه، لأنه معروف عنه صلى الله عليه وسلم أنه لم يخش في الله لومة لائم، ولم يكن ليقبل وساطة أحد في الحدود، وقصة المرأة المخزومية معروفة في زمن النبي صلى الله عليه وسلم، والتي رفض فيها وساطة أقرب المقربين إليه وهو أسامة بن زيد. كما ورد في **الصحيحين**: "أن قريشا أهمهم شأن المرأة المخزومية التي سرقت، فقالوا: ومن يكلم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقالوا: ومن يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد، حب رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلمه أسامة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أتشفع في حد من حدود الله، ثم قام فاختطب، ثم قال: إنما أهلك الذين قبلكم، أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها"[61].

لذا فليس صحيحا ـ كما يزعم بعض المشككين على مواقع الإنترنيت ـ أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يتهاون في تطبيق الشرع، ويسقط حد الردة عن أحدهم لإرضاء أحد من أصحابه[62]. وعبدالله بن سعد بن أبي سرح قد تاب هنا، والتوبة مقبولة من المرتد، ومعلوم أن القائلين بقتل المرتد يشترطون مسألة الاستتابة قبل تطبيق الحد على المرتد، قال ابن تيمية: "إن السنة في المرتد أنه لا يقتل حتى يستتاب، إما وجوبًا، أو استحبابًا"[63]. ولسنا هنا في صدد إثبات أو نفي حد الردة.

وقد علل ابن تيمية عفو النبي صلى الله عليه وسلم عن ابن أبي سرح بكونه لم يوجب قتله أصلًا،

60- طه جابر العلواني، **لا إكراه في الدين، إشكالية الردة والمرتدين من صدر الإسلام إلى اليوم**، مكتبة الشروق الدولية، والمعهد العالمي للفكر الإسلامي، القاهرة، ط 2، 1427هـ/ 2006م، ص 105.

61- ينظر: البخاري، **صحيح البخاري**، ج 4، ص 175، رقم الحديث: 3475. وأبو الحسن مسلم بن الحجاج النيسابوري، **صحيح مسلم**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج 3، ص 1315، رقم الحديث: 1688.

62- كما ادعى البعض ذلك، ينظر: موقع الواحة المصرية: www.eygptianoasis.net

63- أحمد بن عبد الحليم الحراني ابن تيمية، **الصارم المسلول على شاتم الرسول**، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الحرس الوطني السعودي، السعودية، ج 1، ص 117.

وإنما أجازه بدليل كتمان الصحابة له، ولذلك عفى عنه باعتبار أن القتل كان لحق النبي صلى الله عليه وسلم، لأنه كان قد افترى[64] على النبي صلى الله عليه وسلم، إذ يقول: "وفي **كتمان الصحابة** لابن أبي سرح ولإحدى القينتين[65] دليل على أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يوجب قتلهم، وإنما أباحه مع جواز عفوه عنهم، وفي ذلك دليل على أنه كان مخيرًا بين القتل والعفو، وهذا يؤيد أن القتل كان لحق النبي صلى الله عليه وسلم"[66].

ومن جانب آخر فقد ورد في بعض الأخبار والتي اعتمد عليها الكثيرون أن النبي صلى الله عليه وسلم صمت طويلًا قبل أن يمد يده للبيعة، كي يبادر أحد من الصحابة لقتله قبل أن يبايعه النبي صلى الله عليه وسلم، ثم زعمت تلك الأخبار أن النبي صلى الله عليه وسلم قد وصفه بالفاسق أو بالكلب بعد أن قبل شفاعة عثمان بن عفان فيه كما نقل الواقدي ذلك[67]، وهو ما لا يعقل أن يصدر من النبي صلى الله عليه وسلم، ولا سيما تجاه شخص أعلن عن إسلامه، وقبله النبي صلى الله عليه وسلم، وبايعه على ذلك. والواقدي معروف بالضعف والكذب كما مر ذكر ذلك.

لذا نجد عدم ذكر مثل تلك التفاصيل المشكوك فيها في كتب السيرة الموثوقة، لذا فقد شكك ابن هشام (ت213هـ) في مسألة صمت الرسول صلى الله عليه وسلم الطويل لكي يقتله أحدهم، إذ لم يثبت ذلك في أي خبر صحيح، فقال: "زعموا..." يقول ابن هشام: "وإنما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتله لأنه قد كان أسلم، وكان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم الوحي، فارتد مشركا راجعا إلى قريش، ففر إلى عثمان بن عفان، وكان أخاه للرضاعة، فغيبه حتى أتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم

64- مسألة الافتراء لم تثبت بأية أدلة صحيحة، لذا فالأمر ليس كما قال ابن تيمية رحمه الله، وهو ما أثبتنا ضعفه وبطلانه في بحث "دعوى تحريف عبدالله بن أبي سرح للقرآن الكريم في ضوء كتب التفسير".

65- كانتا لابن خطل، واختلفت المصادر في اسميهما، فقيل: قرينا وقريبة، أو: فرتنا وأرنبة، أو: فرتنا وقريبة، أو فرتنا وسارة وغير ذلك، ينظر على سبيل المثال: الواقدي، **المغازي**، ج 2، ص 825، 860، وابن سيد الناس، **عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير**، ج 2، ص 224.

66- ابن تيمية، **الصارم المسلول على شاتم الرسول**، ج 1، ص 119. ويقصد أنه نال من الرسول صلى الله عليه وسلم، أي: سبه، وهو أمر زائد عن الردة كما يقول. ويبدو أن الشعراوي أخذ برأي ابن تيمية من أن سبب إهدار دم ابن أبي سرح يوم الفتح هو لأنه نال كثيرا من رسول الله صلى الله عليه وسلم. ينظر: محمد متولي الشعراوي، **تفسير الشعراوي**، أخبار اليوم، ج 19، ص 12044.

67- وقد ذكر هذه الأوصاف الواقدي ونقله عنه غيره، ينظر: الواقدي، **المغازي**، ج 2، ص 856.

بعد أن اطمأن الناس وأهل مكة، فاستأمن له، فزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صمت طويلا، ثم قال: نعم، فلما انصرف عنه عثمان، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن حوله من أصحابه: لقد صمت ليقوم إليه بعضكم فيضرب عنقه. فقال رجل من الأنصار(68): فهلا أومأت إلي يا رسول الله؟ قال: إن النبي لا يقتل بالإشارة. قال ابن هشام: ثم أسلم بعد، فولاه عمر بن الخطاب بعض أعماله، ثم ولاه عثمان بن عفان بعد عمر"(69).

المبحث الخامس: إشكالية تحديد تاريخ وفاته:

اختلفت المصادر التي تحدثت عن تاريخ وفاة الصحابي عبدالله بن سعد بن أبي سرح رضي الله عنه كغيرها من الموضوعات المتعلقة بحياته في أكثر من نقطة، بدءًا من مكان وفاته، ثم زمن وفاته، ثم الحالة التي توفي فيها.

الرأي الأول: أنه مات سنة ست وثلاثين في عسقلان في خلافة علي رضي الله عنه. قال الذهبي: وهو الأصح(70). وقال ابن الأثير بعد أن ذكر القولين، الأول أصح، أي: هذا الرأي(71). وقال ابن عبدالبر: "والصحيح أنه توفي بعسقلان سنة ست أو سبع ثلاثين"(72).

الرأي الثاني: وهو ما ذكره البغوي في **معجم الصحابة**(73) من أنه مات بالرملة، وذكر ذلك ضمن رواية نقلها دون أن يرجح قولًا أو يذكر سنة وفاته. وهو ما ذكره ابن حبان في **تاريخ الصحابة** مضيفًا سنة الوفاة من أنه توفي بالرملة سنة تسع وخمسين(74). وأشار إلى هذا الرأي أبو نعيم الأصبهاني بصيغة التضعيف "وقيل"(75). وقد أشار ابن حجر في **الإصابة في تمييز الصحابة** إلى الرأيين دون أن يرجح أيـًا

68- يقال إنه: عباد بن بشر، ينظر: ابن عساكر، **تاريخ دمشق**، ج 29، ص 35. والواقدي، **المغازي**، ج 2، ص 856.

69- ابن هشام، **السيرة النبوية**، ج 2، ص 409.

70- الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج 3، ص 34.

71- ابن الأثير، **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، ج 2، ص 611.

72- ابن عبدالبر، **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**، ج 3، ص 920.

73- البغوي، **معجم الصحابة**، ج 4، ص 24.

74- ابن حبان، **تاريخ الصحابة**، ص 151.

75- أبو نعيم الأصبهاني، **معرفة الصحابة**، ج 3، ص160. وكذا أشار ابن عساكر إلى هذا الرأي بـ: "قيل" بعد أن ذكر الرأي القائل بوفاته في عسقلان سنة ست وثلاثين، ينظر: ابن عساكر، **تاريخ دمشق**، ج 29، ص 26-27.

منهما[76]. وقيل: إنه توفي سنة سبع وخمسين[77]، وقيل: سنة ست وستين[78]. وأشار ابن عبدالبر بصيغة التضعيف إلى أنه مات بإفريقية[79]، في حين وصف ابن عساكر في **تاريخ دمشق** ما ورد في رواية ذكرها عن خليفة بن خياط[80] من أنه قتل في إفريقية بأنه وهم[81].

في حين ذكر الجاحظ (ت255هـ) أمرًا غريبًا لا أصل له من الصحة، وهو أنه مات بجزيرة العرب كافرًا، إذ يقول في كتاب "ذم أخلاق الكتاب"، وهو يتحدث عن رداءة مذاهب الكتاب وأفعالهم، ولؤم طبائعهم وأخلاقهم: "ثم أقول: ما ظنك بقوم منهم أول مرتد كان في الإسلام، كتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فخالف في كتابه إملاءه، فأنزل الله فيه آيات من القرآن، نهى فيه عن اتخاذه كاتبًا[82]، فهرب حتى مات بجزيرة العرب كافرًا، وهو عبد الله بن سعد بن أبي سرح"[83].

وقد نقل كل من الرازي (ت606هـ)، وابن عادل الحنبلي (ت775هـ)، والخطيب الشربيني (ت977هـ)، وأبو السعود العمادي (ت982هـ)، في تفسير الآية 14 من سورة المؤمنون، رواية الكلبي المعروف بالكذب في ردته، وأنه قيل: إن ابن أبي سرح قد مات على الكفر، فقالوا: "فقيل إنه مات على

76- ابن حجر العسقلاني، **الإصابة في تمييز الصحابة**، تحقيق: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، ص 1058. ولم يرجح ابن حجر أنه مات سنة تسع وخمسين كما قال السواعدة في بحثه، وإنما نقل ابن حجر ذلك عما أخرجه السراج عن عبدالعزيز بن عمران أنه قال ذلك. وقد ذكر ابن حجر عدة آراء أخرى في وفاته مثل: سنة ست وثلاثين، أو سبع وخمسين.

77- ينظر: ابن حجر، **الإصابة في تمييز الصحابة**، دار المعرفة، ص 1058. وقال ابن حجر: "وذكره ابن مندة". ولم أجد عند ابن مندة بعد البحث.

78- ينظر: ابن عساكر، **تاريخ دمشق**، ج 29، ص 44. وربما هو خطأ في الكتابة من ست وثلاثين.

79- ابن عبدالبر، **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**، ج 3، ص 920.

80- خليفة ابن خياط، **طبقات خليفة بن خياط**، تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر، ج 1، ص 530.

81- ابن عساكر، **تاريخ دمشق**، ج 29، ص 22.

82- لم يصح في نزول تلك الآيات في ابن أبي سرح شيء، وإنما ورد ذلك عن طريق آثار ضعيفة جدا، وقد أثبتنا ذلك في بحث "دعوى تحريف عبدالله بن أبي سرح للقرآن الكريم في كتب الحديث"، وكذا في بحث: "دعوى تحريف عبدالله بن أبي سرح للقرآن الكريم في ضوء كتب التفسير".

83- أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الليثي الجاحظ، **رسائل الجاحظ**، كتاب ذم أخلاق الكاتب، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1384هـ/ 1964م، ج 2، ص 188. وعلي، جواد، **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، دار الساقي، ط4، 1422هـ/ 2001م، ج 15، ص 124.

الكفر، وقيل إنه أسلم يوم الفتح"[84].

والراجح في وفاته هو ما قاله الذهبي في **سير أعلام النبلاء**، وابن الأثير في **أسد الغابة**، وابن عبدالبر في **الاستيعاب**، من أنه توفي بعسقلان سنة 36، أو 37 كما مر ذكر ذلك، وأنه مات بعد أن صلى صلاة الصبح. وخير ما قيل فيه رضي الله عنه هو ما ذكره الذهبي من أنه: "أسلم يوم الفتح، ولم يتعد، ولا فعل ما ينقم عليه بعدها. وكان أحد عقلاء الرجال وأجودهم"[85].

الخاتمة:

هنا يود الباحث الإشارة إلى أهم النتائج التي توصل إليه، وهي: أن الدراسة قد بينت أن هناك عددًا من الإشكاليات تصادف الباحث وهو يدرس كيفية تناول كتب التراجم لسيرة الصحابي عبدالله بن سعد بن أبي سرح رضي الله عنه، منها:

أولًا: إن المصادر لا تحدد تاريخ ولادته بشكل دقيق، فضلًا عن إهمال مصادر أخرى للمسألة برمتها، لذا نعتقد أن ما ذكرته بعض المصادر من أنه ولد على عهد النبي صلى الله عليه وسلم غير دقيق، ونرجح أنه ولد قبل ذلك بفترة طويلة، وأنه كان في عمر عثمان بن عفان، أو ما يقاربه.

ثانيًا: اختلفت المصادر في مسألة تحديد تاريخ إسلامه للمرة الأولى، ناهيك عن عدم تطرق عدد من الذين أرخوا لحياة الصحابة مثل: البغوي وابن حبان وأبو نعيم الأصبهاني وابن حجر إلى مسألة إسلامه في المرة الأولى. ومن المصادر ما ذهب إلى أنه أسلم قبل الفتح بدون تحديد المقصود من ذلك، في حين أشارت أخرى إلى أنه أسلم في بداية البعثة النبوية. لذا نرجح أنه قد أسلم قديمًا، وأنه أول من كتب للنبي صلى الله عليه وسلم الوحي قبل ردته.

84- ينظر: فخر الدين محمد بن عمر الرازي، **مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط 3، 1420هـ، ج 23، ص 266. وأبو حفص سراج الدين عمر بن علي ابن عادل الحنبلي، **اللباب في علوم الكتاب**، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1419هـ/ 1998م، ج 14، ص 183. وشمس الدين محمد بن أحمد الخطيب الشربيني، **السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير**، مطبعة بولاق (الأميرية)، القاهرة، 1285هـ، ج 2، ص 574. وأبو السعود محمد بن محمد بن مصطفى العمادي، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج 3، ص 163.

85- الذهبي: **سير أعلام النبلاء**، ج 3، ص 34، وهذا القول ليس للذهبي كما قال السواعدة في بحثه وغيره، وإنما ذكره الذهبي بقوله: "وقيل".

ثالثًا: نظرًا لسكوت عدد من المصادر عن تحديد تاريخ إسلامه في المرة الأولى، ولاختلاف المصادر الأخرى في ذلك، فإن الباحث لم يتمكن من تحديد تاريخ ردته بشكل دقيق لما سبق، ولأن الأخبار والروايات التي تحدثت عن ردته إنما وردت في مصادر غير موثوقة، وبأسانيد غير صحيحة، وهي متضاربة مع بعضها البعض الآخر، وإن كان الباحث يميل إلى أنه قد ارتد في مكة قبل أن يهاجر إلى المدينة أصلًا.

رابعًا: ما أشار إليه البعض من أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقبل وساطة أصحابه، واستدلالهم بقصة عفو النبي عن ابن أبي سرح في فتح مكة، وعدم إقامة حد الردة عليه، استدلال في غير محله، والنبي صلى الله عليه وسلم لم يكن ليخشى في الله لومة لائم، ولو ثبت عليه الحد لأقامه، ولكن النبي صلى الله عليه وسلم عفا عنه لأنه تاب، والمرتد إذا تاب تسقط العقوبة عنه عند القائلين بحد الردة، ناهيك عن القائلين بخلاف ذلك، فإن القصة عندهم دليل على عدم وجود حد الردة.

خامسًا: ما ذكر في بعض الأخبار من أن النبي صلى الله عليه وسلم قد وصفه عبدالله بن أبي سرح بأوصاف غير لائقة كالفاسق أو الكلب، ليس بصحيح، وقد وردت تلك الأخبار عن طريق أناس عرفوا بالضعف وبوضع الأحاديث وبالكذب الصريح.

سادسًا: على الرغم من أن عبدالله بن سعد بن أبي سرح كان من الشهرة بمكان، فكان عاملًا للفاروق على الصعيد، ومن ثم واليًا لعثمان بن عفان على مصر، وهو فاتح إفريقيا، إلا أن المصادر اختلفت في تاريخ وفاته على عدة أقوال، سواء بالنسبة لزمن وفاته، أم المكان الذي توفي فيه، أم الحالة التي توفي عليها. وقد وجدنا تجاوز البعض لكل الحدود المعقولة عندما قالوا بأنه مات كافرًا، والمعلوم أنه قد رجع إلى الإسلام يوم فتح مكة، وحسن إسلامه.

Biographical Treatment of the Scribe of the Revealation ʻAbd Allāh b. Abī Sarḥ: A Critical Analysis

This article addresses some problematic issues related to the way in which the biographical sources have dealt with one of the Scribes of the Revelation namely, Abd Allāh ibn Sa'd ibn Abī Sarḥ.

Using a critical analysis approach, the writer has showcased, analyzed, criticized and indentified the prevailing views concerning the issues involved in the treatment of this Scribe.

The article arrives at a number of results. For instance, irrespective of the high political and military position that Ibn Abī Sarḥ had enjoyed

at his time, most parts of his biography are vague. This renders it hard for any researcher to get a clear view about his life from biographies' treatment. That is because we find numerous contradicting views about his life.

This article has identified the most important problematic issues related to his biography in the various sources such as: the problem of determining his date of birth, the date of his converting to Islam for the first time, the issue of determining his apostasy and its reasons, the question of being forgiven by the Prophet (pbuh) and lastly the problem of determining his date of death.

****